الأساس النظري للقضية الفلسطينية

صراع الوجود والحدود والحقوق

طلعت أحمد مسلّم

خبير عسكري مصري

لا شك ان القضية الفلسطينية التي هي في الوقت عينه لبّ الصراع العربي ـ الاسرائيلي ونقطة بدايته دخلت، في النصف الثاني من العام ١٩٩٢، مرحلة جديدة هامة، يصعب التنبؤ بأنها حاسمة؛ اذ تظل مؤشرات تحاصر الصراع واتجاه مساره تتسم بالغموض وعدم اليقين، إلّا أن المؤكد أنها مرحلة هامة، فهي إنْ لم تبلغ درجة الحسم، فانها ستكون، من دون شك، منعطفاً هاماً في مسارها.

لا ترجع الأهمية المذكورة الى تغيير في طبيعة أو لبّ القضية، بالطبع، فالأصل في أية قضية أن هناك أطرافاً لها تعتقد كل منها بأن لها حقوق تتعارض مع ما تعتقد الأطراف الأخرى أنه حقها. لكن الأهمية المنسوبة الى المرحلة المقبلة ترجع الى تغير في ظروف أطراف الصراع وفي البيئة الدولية يدفع أطراف القضية الى القبول بحلول ناقصة وأهداف مرحلية بهدف تخفيف وقع الأوضاع الغير ملائمة لتجميع القوة على أمل حدوث تغيرات هامة في هذه الأوضاع في وقت آخر، بما يسمح بتحقيق أهداف أكثر تقدماً وأقرب إلى أهدافها النهائية.

في مثل هذه الظروف حيث تتغيّر الوسائل الرئيسة للصراع، وحيث تتحدد أهداف مختلفة عما سبق الاتفاق عليه، يكون من المفضل إعادة دراسة الأساس النظري للقضية، أولًا حتى لا تؤدي الأوضاع والظروف المرحلية الغير ملائمة الى الانحراف عن الطريق الرئيس، بما يحول دون أو يعوق بعد ذلك العودة الى الطريق الأصلي إذا تحسنت هذه الظروف بحيث لا تشكل الحركة في ظروف مؤقتة مانعاً أمام الحركة الأصلية والدائمة في الاتجاه الأصلي في الظروف الطبيعية عند استعادتها.

كذلك، فان مثل هذه الظروف تحتم إجراء المراجعة الدورية لأسباب وأهداف الصراع؛ إذ أن مرور الزمن كفيل بتوفير معلومات لم تكن متيسرة، كما يتيح الفرصة لاعادة التفكير في ما كان يعتبره البعض، في مرحلة سابقة من مراحل الصراع، من المسلمات أو البديهيات، بينما هي ليست كذلك، إذ تنشأ فرصة لكسر الحصار الاعلامي الذي قد تتعرض له العقول بما يحول بين المرء وبين مناقشتها.

تحتّم مثل هذه الظروف دراسة البيئة السياسية الدولية والاقليمية واستثمارها بالشكل